جميع حكومات الامم الاميركية واعداد مشروع لتقييد تلك الحكومات بمعاهدة عامة

وعقد مؤتمر ثالث في وشنطن ايضاً سنة ١٩٠٦ حضرهُ مندوبو جميع حكومات الامم الاميركية ما عدا حكومتي هايتي وفنزويلا فبحث في ماهية القوة التي تستخدم لتحصيل الاموال من الحكومات الاميركية التي تعصى بدفع ما عليها وطرق استخدامها والحد الذي يمكن ابلاغها اليهِ وفي ارجاء البت في مبدإ التحكيم الذي بحث فيهِ المؤتمران السابقان الى ما بعد مؤتمر الهاي الثاني الذي كان موعد انعقادهِ في العام التالي

وقد زال بسبب هذه المؤتمرات الثلاثة كثير من اسباب الخلاف الذي استفحل امرهُ بين حكومات تلك الجمهوريات وحسمت انكلترا خلافها مع فنزويلا بسبب غيانا الانكليزية وفرنسا مع البرازيل بسبب غيانا الفرنسوية وسوي الخلاف القديم الذي كان بين انكلترا وفرنسا على نيوفوندلند والخلاف الذي كان بين الولايات المتحدة وانكلترا بسبب كندا وتطالبت جمهوريتا شيلي والارجنتين على فصل خصوماتهما كلها بالتحكيم . وخلاصة القول ان تلك المؤتمرات عادت باعظم الفوائد على اقرار السلم في القارتين الاميركيتين وكان ذلك من اعظم الاسباب التي اهابت بقيصر الروس الى اصدار منشورهِ المشار اليهِ آنفاً

ستأتي البقية

الادب الطبيعي

الطبيعة مدرسة جامعة تستخرج منها كنوز المعارف وتنبعث منها اشعة التعاليم الصحيحة وتخضع لاحكامها جميع الكائنات بحيث ان ما يجري في الكون من الاعمال المادية والحيوية والعقلية والادبية يسير طبقاً لنواميسها وما خالفها يتقهقر او يقف في سير نموهِ ويضعف ويموت . وهي تميل بنظامها الى اصلاح المخلوقات وتحسينها وبها تحولت خشونة الجدود الابعدين الى اللطف والكياسة ووصل الانسان الى الحالة الاجتماعية الحاضرة . على ان هذا الرقي العظيم لم يبلغ درجة الكمال وليس هو الحد الذي يقف عندهُ الناموس الطبيعي الذي لا ينفك عن العمل ويقضي باطراد التحسين . فاذا تأدب الانسان بالادب الطبيعي وهو ما يعرف بالادب المشترك او العام فلانهُ يوافق التعاليم الصحيحة التي يتعلمها من مراقبة الحياة القانونية والانحرافات المرضية لان القانون الصحي المادي والقانون الصحي الادبي لا ينفصلان ولا يختلفان جوهرياً . واذا كنا قد بعدنا كثيراً عن الجدود الاولين وكنا لا نشاهد الآن

خشونتهم فانا لا نزال نرى من المعاصرين مَن يرجع الى الوراء فيمائل اوائك الجدود او يعود الى الهيئة الحيوانية بافساد الاقسام الممتازة من جهازه العصبي بالمشروبات الروحية او باي سم آخر يفسد البنية

فالادب الطبيعي اذاً هو ما وافق الطبيعة وجرى مجراها في احكامها ونواميسها حتى لقد جرى على الالسنة ان كل ادب يوافق الطبيعة يقال عنهُ طبيعي ويكون مستحسناً وكل ادب يخالفها يقال عنهُ غير طبيعي ويكون مستقبحاً. ولهذا لا يستغرب تسمية موضوع البحث في هذه المقالة بالادب الطبيعي وهو موضوع لم يطرق بعدُ سيفُ مجلاتنا العلية على ما اعلم وسترى مما يأتي من البيان والشواهد ما يؤيدهُ ويعززهُ

تظهر الفائدة الجوهرية للحياة من النظر الى امور بسيطة ومعروفة لدى العموم ولكنها تزيد جلاءً اذا نظرنا في نظامها الطبيعي

كل انسان رأى مولوداً حين ولادته وعرف سير حياته في طفوليته الاولى ولكن قلَّ من ينتبه الى فلسفة حياته الاجتماعية ليعلم ان في تلك الحياة البسيطة ناموساً اجتماعياً عظيم الاهمية وكبير الفائدة. فالطفل في طوره الاول انسان صغير لا عمل لهُ سوى الغذاء والنوم فهو يشبه الانسان صورةً والحيوانات الوحشية عملاً ولا يستطيع ان يقوم بأقل خدمة مفيدة للمخلوقات الاخر بل يطلب العناية من كل ما يحيط بهِ ولو حرم منها لمات حتماً. فمن الطبيعي اذاً ان المولود حديثاً يكون انانياً اي محباً لذاته الاَّ ان هذه الانانية تقل تدريجاً كما تقدم الولد في العمر تبعاً لسنَّة الطبيعة التي تتقدم فيها الكائنات في سير تكوينها وهذا ما يسميهِ العلم الحديث بالتحول

فاذا بلغ الطفل السنتين اصبح اقل انانية لانهُ يبتدئ يضحي قسماً منها لخدمة ذويهِ بدليل انهُ اذا وقع شيء من يد والدته وطلبت منهُ ان يتناولهُ ويعيدهُ اليها فعل ذلك بطيب خاطر واذ تمنع ومحظهُ. فهذا التغيير الذي حدث بتقدم العمر حدث طبقاً للطبيعة لان الانانية الفضيعة في اوائل العمر تأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً تجاريهِ الميل الراقي المطابق للطبيعة ايضاً الذي نشأ منهُ ما يسمونهُ بالتعاون والاسعاف والروح الاجتماعية ومحبة القريب

وهذا التقدم قانون سار على الكائنات بدون استثناء وراءهُ في المخلوقات التي تكونت قبل البشر لان الحيوانات التي تعيش مختلطة ومنفردة في الاصداف تُعدّ انانية في حياتها وهي من الكائنات السافلة في السلَّم الحيواني والافريخ ينعتون بها كل ثقيل وقليل المعروف. واما القرود

وهي من الحيوانات العالية فاقل انانية لان فيها ميلاً الى التعاون فتفلي بعضها وتقتلع الاشواك التي تعلق بجلود بعضها حيث لا يقدر الواحد منها ان يصل اليها ليقتلعها

ثم ان هذا النمو التدريجي في الطفل يتنوع بالتدريج ايضاً نوع كيانهِ ونوع سلوكهِ بين الناس فيخضع بذلك للحكم العام الذي يوجب على كل انسان ان يضحي قسماً من انانيتهِ الاصلية ليصبح ابن معاشرة واوفر احساناً واكثر حباً للقريب

ويمكن للولد ان يميز منذ حداثتهِ ان صاحب الانانية يكون احط منزلة من الانسان الحسن المعاشرة والسريع الى المعروف . وكثيراً ما يحدث ان يلتقي بولد آخر على الرصيف لا يخلي لهُ السبيل فيقول عنهُ انهُ قليل الادب وسيئ التربية لانهُ لم يسهل لهُ المرور على الرصيف الضيق

اللطف صفة من صفات محبة القريب ويقوم بان يكلف الانسان نفسهُ بعض الكلفة ليوفر ثقلة عن جارهِ . وهو كبير الفائدة للافراد والعموم لانهُ يقرب الناس بعضهم من بعض ويكون سبيلاً للسعادة وتوطيد اركان الحياة الاجتماعية . فاذا كان الانسان لا يستطيع ان يعيش الا مجتمعاً وجب ان يكون اللطف صفة لازمة فيهِ لتقوم سعادتهُ في حياتهِ الاجتماعية . وقد عرف بعد الاختبار قروناً عديدة ان عيشة الاجتماع اسعد كثيراً من عيشة الانفراد بل عيشة الانفراد تعاسة كبرى حتى على ذوي الانانية لو عوقبوا بها لا دركوا قيمة التعاون في الحياة المشتركة . وقد اصبح هذا الميل راسخاً في الانسان واصبحت الانانية صفة مكروهة في عرف الادب الاجتماعي لاننا اذا رأينا ولداً يسير في طريق مزدحم ولا يراعي بقية السائرين فيهِ صفحنا عن انانيتهِ واخلينا لهُ السبيل الا اننا لنكر ذلك على الكهل اذ الصغير يعمل ببساطة وعدم معرفة والكبير يعمل بكبرياء وانانية لان الطبيعة علمتنا ان نصبر بتقدم العمر اكثر مراعاة لنظرائنا وعرفتنا بمحاسن الحياة الاجتماعية وحسناتها

على ان اللطف ليس الا ظاهرة سطحية من ظواهر التقدم الاجتماعي الذي نظرنا فيهِ الى الامور الواضحة والكثيرة الوقوع في آداب المخالفة الا انهُ كبير الشأن في الطفولية الاولى حيث ينظر فيهِ ليس الى الاشياء السطحية بل الى الاحوال الطبيعية التي تجري مجراها طبقاً لنواميس محدودة لا يدخل العقل والارادة في سيرها وتطبيقها . فمنذ الشهر الثاني او الثالث من الطفولية تزيد الام اعتناء بابنها وتهتم بهِ اهتماماً اكبر من اهتمامها بهِ في ايامهِ الاولى . وكان الولد يشعر بهذه العناية واعترافاً بها يقدم لوالدتهِ الابتسامة الاولى التي تهتز لها عواطفها

ويرقص قلبها طرباً . ثم يأخذ يجامع لبها ويزيدها عطفاً عليهِ بحركات عينيهِ وشفتيهِ ويديهِ وصراخهِ التي تدل على ميلهِ الى العيشة المشتركة اي الى عيشة اقل ضيقاً وانانية من ايامهِ الاولى . فهذه هي مظاهر اللطف والكياسة التي حلَّت محل الخشونة التي كان عليها الطبع الاول للولد ويأخذ هذا الطبع الجديد بالنمو يوماً فيوماً تبعاً للناموس الطبيعي الذي تسير عليهِ المخلوقات باجمالها

اذا عرفنا هذا التقدم الذي يحصل في سلوك الاطفال عرفنا ان مسألة الرقي الاجتماعي هي اهم المسائل التي يجب ان يوجه النظر اليها في المدارس . وان يروّض عقل الاحداث بموضوعها المهم وتفاصيلها التي تخلب الالباب لانهُ لا شيء يعجب من التحول التدريجي لنوع الحيوان الصغير الذي هو الطفل المولود الى كائن اكثر انتباهاً لاقاربهِ واخوانهِ وجيرانهِ ومواطنيهِ وللعائلة الكبيرة البشرية التي يشاطرها مستقبلاً غير منفصل . ولا نبالغ اذا قلنا انهُ ليس في طبقات الحيوان العليا عيشة منفردة ومستقلة . والانسان لا يستطيع ان يعيش وحدهُ ثلاثة ايام بعد ولادتهِ لانهُ يحتاج الى ام مرضع لكي ينتقل من الطفولية الاولى الى الثانية . ومهما كانت خيرات الارض كثيرة فانهُ يتعذر علينا ان نستفيد منها ان لم نقتبس ممن سبقونا معرفة استعمال العناصر الكثيرة التي تساعدنا على ان نعيش افضل من الحيوانات وبهذا نعرف قيمة التعاون الاجتماعي الذي نكتسبهُ غالباً بدون فكر وروية اي بدون ان نسأل لماذا تكون الانانية مكروهة . واذا كان الانسان لا يكره الانانية في شخصهِ فلأن لهُ منها فائدة خصوصية ولان في الايام الاولى من حياتهِ لا يستطيع ان يهتم الاَّ بشخصهِ الاَّ ان نظام الرقي الطبيعي يوجب عليهِ الاهتمام باشالهِ ليستفيد من النجاح العجيب الذي حصل في الحياة العالمية

قلنا آنفاً ان الحب الذي ينمو في قلب الطفل ويشعر بهِ نحو والديهِ يظهر بالابتسام وهو كل ما يمكن ان يقدمهُ لهما بدلاً مما يأخذهُ منهما كل يوم . ومتى تقدم في العمر زاد معرفة وزاد عطاء فيخضع لهما وخضوعهُ ضحية من انانيتهِ تسهل عليهما العمل بتربيتهِ

الاخذ والعطاء هما ميزان الحياة الاجتماعية ونموها يسير طبقاً للسنَّة الطبيعية . ومن كثر عطاؤهُ زادت سعادتهُ لان الطبيعة جوَّادة على الانسان والحياة المتمدنة ليست الاَّ جمعية تعاون وتضامن . ومن امسك عن العطاء او قلَّ عطاؤهُ عاش شقياً لانهُ يخرج من القوم الذين يجزلون عطاءهُ اذ يأخذ كثيراً من ابيهِ وامهِ واخوتهِ ورفاقهِ واساتذتهِ ومن الادباء والعلماء والمكتشفين الذين يكفونهُ مؤونة التفتيش الطويل والتعب الجزيل

لان الاكتشافات والاختراعات الاولى كتحضير الطعام واللباس والاثاث اعترضتها صعوبات كثيرة قبل ان اصبح الحصول عليها سهلاً والانتفاع بها حرًّا وقد اكتسبت بعد مرور الزمن بالمبادلة والتعاون صفة ادبية مع انها لم يكن لها في بادئ امرها سوى فائدة مادية لان الادب هو كل ما يساعد على اتحاد الناس واتفاق الامم وعدمهُ هو كل ما يقرض هذا الاتحاد الحسن المفيد

فنرى اذاً ان اللطف وحب القريب والروح العائلية والروح الاجتماعية بالرغم من مظاهرها المختلفة لها علاقة بالحادث الطبيعي القابل الرقي اي الميل الى التعاون والتفاهم الذي يرفع الاطفال الى اعلى من اناينيتهم الاولية فيجعلهم رفاقاً حسني السلوك واناساً متحلين بالاخلاق الفاضلة التي تكون وسيلة لسعادتهم في الحياة الاجتماعية والعائلية التي يسيرون اليها ويتدفعون في تيارها . ومثلها الصفات الاخرى الادبية التي ظهرت في ادوار العصور السالفة كالشفقة والرحمة والحنو والحب والمجاملة والاسعاف والتضامن والوطنية والانسانية فهي تدل على قليل من كثير من الميل غير المحدود الذي يجري على نظام طبيعي في العالم الانساني

ورغم ما في تلك الصفات من الجمال وحسن المظاهر فهي ليست الحد الذي يقف عندهُ الرقي الادبي والناس لا يزالون بعيدين عن حدّ التعاون والتفاهم في كل اعمالهم وان كانوا يتفاهمون هذه الايام احسن كثيراً مما كانوا يتفاهمون في الزمن الماضي اذ يمكن للانسان الآن ان يخوض البحار آمناً من سطوة القرصان وان يجوب اكثر القارات مطمئناً من غدر السكان لزوال روح التفريق وبغض الاغراب الوحشي

فالرقي الطبيعي والادبي لا ينفكان عن المساعدة على تحسين ادب الجنس البشري بتسهيلها المبادلة بين الامم واكتساب كل منها معارف الاخرى والاستفادة من اختباراتها واكتشافاتها فمعرفة الكهربائية مثلاً ساعدت مساعدة كبرى على رقي الحالة الاجتماعية بين البشر وكانت عاملاً لاكتشاف عديم النفع وجزيل الفائدة واعني به التلغراف الذي امتدت اسلاكهُ فاحاطت العمور واخذ بنبيُ الملايين من الناس بما يحصل في الاماكن القاصية فاخذ بذلك ينقص بغض الاجانب واحتقارهم

لا يحدث حادث مهم في احد نصفي الكرة حسناً كان او قبيحاً الاَّ والتلغراف ينقلهُ حالاً الى كل الامم والشعوب . لما نكبت مسينا بالزلزال طيَّر التلغراف خبر النكبة الى كل جهات العالم فاسرع الناس القريبون والبعيدون الى اسعاف المصابين وتخفيف ويلات الفاجعة . وظهر في حرب البلقان ما يدل على اهمية هذا الميل وانتشاره بين الامم الراقية حيث تألفت

الوفود لاسعاف المصابين بالعلاج والغذاء بدون تمييز بين الجنسية والدين

ترتبط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض ارتباطاً لا يقبل الفصل والتفكيك وتسير معاً على منهاج واحد من النجاح فاذا حسنت معرفة الناس بهذه الرابطة عدلوا عن الحد الاعمى الذي يفرقهم بعضهم عن بعض. وقد كانت معرفة الاسلاف القاصرة سبباً لاعتبار الطبيعة عدواً لدوداً وكانت مظاهر قواتها في عرفهم مظاهر خشونة وعداء كالكهربائية التي لم يكونوا يعرفون من صفاتها وافعالها الا الصاعقة وهي في هذه الايام من اكبر نعم الطبيعة على الانسان لانها لا تقتصر على نقل الاخبار والافكار الى الاماكن البعيدة بل اصبحت العامل المطيع لكل الاعمال الميكانيكية ولنقل القوة والنور الى الاودية والجبال ويؤمل منها ايجاد مراكز للقوة ترتبط بها الارض لكمالها

لا يستغرب اذا قلنا ان عمل الانسان في العمران يسير على نفس خطة الخالق الذي صدرت منهُ كل انواع الحركات التي نشاهدها في الطبيعة والتي اذا تبحرنا فيها عجبنا من الارتباط العام الذي ترتبط بهِ. واذا كان تاريخ العمران قد وصل الى قاعدة ادبية يسير عليها في سيرهِ ونموهِ فلأنهُ يرتبط ارتباطاً طبيعياً بتاريخ الخلق العام. واذا نظرنا الى مصير الانسان والطبيعة رأيناهُ واحداً ومشتركاً فيها لان في كليهما ميلاً الى التعويض عن التراكيب القديمة بتحدثات تظهر لنا اقل نقصاً من سابقتها وان لم تبلغ الكمال المطلق المحدود بعمل الخالق

على اننا اذا كنا نحققنا الرقي الذي حصل في المعادن والنباتات والحيوانات ومن ثم في الانسان الاجتماعي الذي هو الصورة الاقل نقصاً من الحيوانات المعروفة فاننا نجهل درجات ذلك الرقي الاولى والبعيدة الا اننا لا نجهل ان بين الصورة الحالية والصورة الاولى الاصلية بوناً شاسعاً واذا امكننا ان نقدر ما يمكن الوصول اليهِ من الاستمرار على التغيير الذي يدنينا من الكمال فتقديرنا القائم على احسن برهان لا يُعدُّ شيئاً بالنسبة الى التحسين البديع الذي يؤمل الحصول عليهِ في المستقبل واذ لم يمكن تعيين شكلهِ وتحديد صفاتهِ لتوقع حصولهِ في المستقبل البعيد

مثال ذلك اننا نؤمل طبيعياً ان يأتي يوم يتفاهم فيهِ الناس احسن من الوقت الحاضر لان التاريخ يدلنا على ان القبائل والشعائر والشعوب القديمة كانت متفرقة ومتباعدة بعضها عن بعض اكثر منها الآن ونؤمل ايضاً انهُ يأتي زمن يستطيع فيهِ سكان الكواكب والارض ان يخاطبوا بعضهم بعضاً. واذا حصلت هذه العلاقة الجديدة الاجتماعية استطاع خلفاؤنا

ان يتوسعوا في المعارف الطبيعية وان يتبسطوا في الحياة الادبية . على ان هذا الامل وان يكن من الغرابة بمكان الا ان الحصول عليه ليس مستحيلاً قياساً على عمل الرقي في كافة الكائنات

فالناموس الطبيعي الذي يربط كيانا بالتكوين العام يسير على قاعدة واحدة تميل بالكائنات الى التحسين الذي ظهرت نتائجهُ العجيبة في الحياة العالية وعلينا الآن ان نقتنع بفوائدها وان لا يؤخرنا عن التمتع بها جهلنا ببداءة الحياة ونهايتها لان ذلك من رغائب الرجال الذين يقتحمون هذا الموضوع بكل جسارة لان القليل الذي نعرفهُ كثير الحسنات وجزيل الفوائد ويجدر بنا بل يجب علينا ان نثق بحكمة الطبيعة في مستحدثاتها وان لا نتكر ناموساً ثابتاً لنحاول اثبات ناموس غامض وقليل الوضوح

على الانسان الذي ينتفع من النجاح العام والمتواصل ان يضحي قسماً من انانيته لفائدة العموم عملاً بالناموس الطبيعي ان لا يحق لهُ ان ينتفع بمجهودات المجتمع بالاعمال والاصلاحات والاختراعات بدون ان يشاركهُ في العمل او ان يعطي شيئاً من مواهبهِ وحياتهِ او ان يكون شحيحاً بحالهِ وماله وعالة على جماعتهِ ومواطنيهِ . ولا ريب في ان انساناً كهذا يكون تعيساً في حياتهِ وحقيراً في صفاتهِ لان حيتهُ تخالف المألوف عند ذوي اللطف والمدنية اذ يتخذ في سلوكهِ شكلاً يخالف شكلهم فيكون خشناً وعبوساً ولذلك يكون مكروهاً ومرذولاً بخلاف ذي الظرف واللياقة فانهُ يكون انيساً وبشيشاً ولذلك يكون محبوباً وسعيداً لانهُ يسير على سنة الطبيعة التي حولت الجلود من الخشونة الى اللطف

ان رقي الفرد يدل بالاختصار على رقي النسل اي ان الشخصية تميل طبيعيًّا الى التنوع فتسير على نفس الخطة التي تسير عليها سلسلة المخلوقات ولذلك فالمحافظ المكابر الذي لا يريد ان يغيّر شيئاً من عاداتهِ القديمة يُدعى في علم الادب الحديث رجعيًّا لان الانسان الذي لا يشترك في الاصلاح الطبيعي لكل الكائنات يبقى متأخراً في نظر مواطنيهِ التشيطين

مهما اجهدنا القريحة في وصف محاسن هذه السنة التي تقوم بها عناصر الطبيعة نبقى مقصرين عن توفية الوصف حقهُ . واذا نظرنا اليها في مجاري الحياة اليومية عرفنا اهميتها وتأثيرها في معايشنا وآدابنا لان لا حركة تعمل من حركات الحياة الا والميل الى التحسين دخل فيها فاذا اكلنا فلنكسب اجسامنا قوة واذا نمنا فلنغتبط براحة بعد التعب واذا تروّضنا فلنكسب اعضاءنا نموًّا يمكنها من القيام باعمال اعظم واكبر واذا تعلمنا وتهذبنا فلنكتسب معرفة بالسعادة وعملاً بالواجبات المفروض علينا القيام بها بين الناس